

نماذج من الشواهد اللغوية

في

معجم لسان العرب

أ. أحمد بن عجمية

أستاذ محاضر بجامعة بن بوعلي الشلف
ورئيس قسم اللغة العربية سابقاً.

أولاً : مفهوم الشاهد :

- 1- الشاهد اللغويّ : جاء في لسان العرب عن ابن سيده : الشاهد العالم الذي يبيّن ما علمه¹ ... وشهد الشاهد عند الحاكم أي بيّن ما يعلمه وأظهر² والشاهد والشهيد : الحاضر³....
وقوله عزّ وجلّ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا⁴﴾، أي على أمتك بالإبلاغ والرسالة⁵، وقيل : مبيناً، قال مجاهد (ويتلوه شاهد منه) أي حافظ ملك.
وروى شمر في حديث أبي أيوب الأنصاري : أنه ذكر صلاة العصر، ثم قال : لا صلاة بعدها حتى يرى الشاهد، قال : قلنا لأبي أيوب : ما الشاهد ؟ قال النجم كأنه يشهد في الليل أي يحضر ويظهر، وصلاة الشاهد : صلاة المغرب⁶ .

1 - اللسان - شهد - 222/7.

2 - اللسان - شهد - 224/7-226.

3 - اللسان - شهد - 224/7-226.

4 - سورة الأحزاب، الآية 45.

5 - اللسان - شهد - 224/7-226.

6 - اللسان - شهد - 224/7-226.

والشاهد : اللسان من قولهم لفلان شاهد حسن أي عبارة جميلة⁷... وقال ابن الأعرابي أنشد أعرابي في صفة فرس : له غائب لم يبتذله وشاهد .

قال الشاهد من جريه ما يشهد له على سبقه وجودته .

نستنتج مما سبق دور وأهمية الشاهد في العناصر الآتية :

أ. البيان والإعلام والإبلاغ.

ب. الحضور والظهور.

ج. الحفاظ.

د. اللسان الحسن والعبارة الجميلة.

هـ. العلامة والأمانة.

2- الشاهد في الاصطلاح : الشاهد في اصطلاح المتصوّفة عبارة عمّا كان حاضراً في قلب الإنسان وغلب عليه ذكره، فإن كان الغالب عليه العلم فهو شاهد علم، وإن كان الغالب عليه الحقّ فهو شاهد حقّ⁸.

وهو عند المناظرة كما حكى التهانوي "ما يدل على فساد الدليل للتخلّف أو لاستلزامه المحال وبهذا المعنى وقع الشاهد في تعريف النقض الإجمالي"⁹.

3- أقسام الشاهد : أجمع أئمة فقه اللغة والنحاة أنّ الشواهد لا تخرج عن نوعين رئيسيّين: القرآن الكريم وكلام العرب وشعرها، واختلف في الحديث وآثار المولّدين اختلافاً كبيراً .

أ. الشاهد القرآني : قال البغدادي في الخزانة "كلامه عزّ اسمه أفصح كلام وأبلغه ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشأده"¹⁰.

7 - اللسان - شهد - 224/7-226.

8 - التعريفات : الجرجاني ص 164 .

9 - كشف اصطلاحات الفنون - التهانوي 4 / 99 .

10 - خزانة الأدب - البغدادي 1 / 32

وقال ابن خالوية في شرح الفصيح : قد أجمع الناس جميعاً أن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن، لا خلاف في ذلك¹¹.

ب. الشاهد الشعري : عقد صاحب الخزانة بعد المقدمة باباً في الكلام الذي يصح الاستشهاد به في اللغة والنحو والصرف ونقل قائلاً : "قال الأندلسي في شرح بديعية رفيقة ابن جابر : علوم الأدب سته اللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع، والثلاثة الأول لا يستشهد عليها إلا بكلام العرب، والثلاثة الأخيرة فإنه يستشهد فيها بكلام غيرهم من المولدين لأنها راجعة إلى المعاني، ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم، إذ هو أمر راجع إلى العقل¹².

ج. الشاهد الحديثي : انقسم النحاة فيه إلى طوائف ثلاث :

- طائفة تمنع به مطلقاً وعلى رأسها أبو حيان الأندلسي وابن الضائع.
- وطائفة تجيز الاستشهاد به مطلقاً وعلى رأسها ابن مالك الأندلسي وابن هشام الأنصاري.

- وطائفة وقفت موقف الوسط ويمثلها الشاطبي وجلال الدين السيوطي¹³.

ثانياً : شواهد لسان العرب : إن المتصفح لمعجم لسان العرب الضخم، يجد أن مؤلفه قد اعتمد في الاستدلال على المعاني والاستخدامات المختلفة للكلمة من حيث اشتقاقها وتصريفها ومواقعها الإعرابية، وتنوع دلالاتها، في ذلك على مجموعة هائلة من الشواهد في المجالات الصوتية والصرفية والنحوية.

وقد تنوعت الشواهد في هذا المعجم باختلاف مواقعها والغرض المتوخى منها، فتتصدر الشواهد القرآنية أحياناً بقراءاتها المختلفة، وترددها الأحاديث

11 - المظهر في علوم اللغة وأنواعها - السيوطي - ضبط فؤاد على منصور 168/1، ط1، 1998، دار الكتب العلمية.

12 - خزانة الأدب البغدادي 29/1، إشراف د/إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية ط 1 / 1998 .

13 - المصدر السابق 36/1.

النبويّة الشريفة وتعقبها كذلك الشواهد المأخوذة من كلام العرب شعراً ونثراً، منسوبة كانت أو غير منسوبة، وهو في منهجه لا يختلف كثيراً عمّن سبقه من أصحاب المعاجم في مناهجهم.

ثالثاً : منهجه في معالجة المسائل اللغوية : يميل ابن منظور في منهجه إلى ما سلكه غيره من أصحاب المعاجم كالجوهريّ والزمخشريّ وابن سيده، حيث يذكر ما يفيد له بيان معاني الكلمات ومترادفاتها ولغات العرب فيها، وما تشمل عليه من أسماء الأعلام والأمكنة والأقاليم، مستعيناً في ذلك كله بالقرآن الكريم والأحاديث النبويّة الشريفة والأقوال المأثورة والأمثال العربيّة المشهورة، فأحياناً يكتفي بذكر شاهد أو شاهدين في المسألة الواحدة، وأحياناً أخرى يمزج فيستعين بشواهد عدة من القرآن والحديث والشعر والأمثال، ينشد من وراء ذلك كلّ إثبات أو تأييد رأي، أو مخالفة في أسلوب سهل لا غموض فيه ولا تعقيد.

وليبيان ذلك نورد هذا المثال من اللسان، أوضح من خلاله ابن منظور أنه وردت لغتان : "ضياء وأضياء" في قوله : "ضياء السراج يضوء وأضياء يضيء". قال : واللغة الثانية هي المختارة¹⁴. وفي ذلك قوله تعالى ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوَءٌ فِيهِ﴾¹⁵.

وقد ضاءت النار وضياء الشيء يضوء ضُوءاً (بفتح الضاد) وضُوءاً (بضم الضاد)¹⁶ وأضياء يضيء. وفي شعر العباس¹⁷.

وأنت لَمَّا ولدت أشرقَت الأرض ... وضاءت بنورك، الأفق

14 - لسان العرب - ضوياً - 99/8.

15 - سورة البقرة الآية 20.

16 - لسان العرب ضوياً 99/8.

17 - المصدر نفسه 99/8 - الشعر والشعراء ص 565.

يقال : ضاءت وأضاءت بمعنى أي استنارت، وصارت مضيئة. وأضاءته، يتعدى ولا يتعدى واستشهد ببيت للنابعة الجعدي.

أَضَاءَتْ لَنَا النَّارَ وَجَلَّهَا أَغَرَّ ... مُلْتَبَسًا بِالْفُؤَادِ إِتْبَاسًا¹⁸.

فأما بيان الفعل من حيث التعدية واللزوم :

فاستشهد ابن منظور بالقراءة القرآنية والشعر لبيان تعدّي الفعل ولزومه في "قرأه وقرأ به".

فأما قوله : هنّ الحرائر، لاربات أحمره ... سود المحاجر، لا يقرأ بالسور¹⁹ فإنه أراد لا يقرأ السور، فزاد الباء كقوله تعالى ﴿تَنَبَّأَ بِالذَّهْنِ﴾²⁰ وقوله تعالى ﴿يَكَادُ سَنَآ بَرَقَهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾²¹، أي تنبت الدهن وتذهب الأبصار.

وأما استناده في أحكامه إلى القراءات القرآنية، فبيّن في النص التالي مسأله، وقال الزجاج : في قوله تعالى : (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)، أربعة أوجه القراءة، منها ثلاثة: كُفُوًا، (بضم الكاف والفاء)، وكُفُأً (بضم الكاف وإسكان الفاء)، وكِفُأً (بكسر الكاف وسكون الفاء)، وقد قرىء بها، وكِفَاءً (بكسر الفاء والمد)، ولم يُقرأ بها.

وقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكسائي وعاصم كُفُوًا، مثقلاً مهموزاً. وقرأ حمزة كُفُأً بسكون الفاء مهموزاً، وإذا وقف قرأ كُفَاً بغير همز. واختلف عن نافع فروى عنه : كُفُوًا مثل أبي عمرو، وروي : كُفَاً مثل حمزة²².

18 - المصدر نفسه 99/8، ينظر الشعر والشعراء ص 185.

19 - هو القتال الكلابي، بدون نسبة في اللسان 426/6، قرأ - 78/11 - ينظر الشعر والشعراء ص 475.

20 - سورة المؤمنون الآية 20.

21 - سورة النور الآية 43.

22 - لسان العرب - كفاً - 112/12.

وفي المسائل الصرفية نذكر جذر - ح ل ء - في اللسان ما يلي :

حلاً : حَلَّأتْ له حَلْوَاءٌ، على فَعُولٍ : إذا حَكَّكَتْ له حَجَرًا على حَجَرٍ ثم جعلت الحَكَاكَةَ على كَفِّكَ وصدَّأتْ بها المرأة ثم كَحَلَّتْهَ بها.

والخَلَاءَةُ : بمنزلة فعالة بالضم.

والخُلُوءُ : الذي يُحَكُّ بين حجرين، لِيُكْتَحَلَ بِهِ؛ وقيل الخُلُوءُ : حَجَرٌ بعينه، يُسْتَشْفَى به من الرَّمَدِ بِحُكَاكَتِهِ؛

وقال ابن السكَّيت : الخُلُوءُ : حجر يُدَلِّكُ عليه دواء ثم تُكْحَلُ به العين .

حَلَاةٌ يَحْلُوهُ حَلًا وَأَحْلَاهُ : كَحَلَهُ بِالْحُلُوءِ²³.

والحَالِيَةُ : ضرب من الحَيَّاتِ تَحَلُّأً لَمَنْ تَلَسَّعَهُ السَّمُّ كما يَحَلُّ الكَّحَالُ الأَرَمَدُ حُكَاكَةً فَيَكْحُلُهُ بها.

وقال الفراء : أَحْلَيْتُ لِي حَلْوَاءً؛ وقال أبو زيد : أَحَلَّأتُ لِلرَّجُلِ إِحْلَاءً : إذا حَكَّكَتْ له حُكَاكَةَ حَجَرَيْنِ فداوى بِحَاكَتِهِمَا عَيْنَيْهِ إِذَا رَمَدَتَا²⁴.

إذا تتبعنا جذر - حلاً - وجدنا مشتقاته تدور حول معنى واحد، وهو الكحل، صاغ منها الفعل، والوصف، والمصدر، وما قام به ابن منظور ههنا، هو جمع شتات مفرداته في موضع واحد، مع الحفاظ على أصل النص.

إن ابن منظور وضع الجذر - حلاً - مجرداً، ثم شرع يسرد مشتقاتها بادئاً بالفعل "حَلَّأتْ حلوءاً، على فَعُولٍ" والبدء بالفعل ليس فرضاً في لسان العرب، إذ يهمل البدء به ويبدأ بصور أخرى للمدخل، ففي، المدخل - ح - م - ء - يقول : الحَمَاةُ والحَمَأُ : الطين الأسود (...)²⁵.

23 - اللسان حلاً - 3 / 273.

24 - المصدر السابق 3 / 274.

25 - المصدر نفسه حمأ 312/3.

هذا مع وجود الأفعال والأوصاف المصوغة من ذلك المدخل، ثمّ يشرح ذلك يقول: "وَحَمَّتِ الْبَثْرَ حَمًّا (بالتحريك) فهي حَمِيَّةٌ، إذا صارت فيها الحَمَاءُ وكثرت"²⁶.

وبالرجوع إلى - حلاً - نجده يبدأ بالفعل الثلاثي المجرد متعدّ لمفعول به مباشرة، وآخر غير مباشرة، أي بوساطة حرف الجرّ - له، للرجل، وحين كرّره بصورته هذه، قرنه بصورة أخرى، صورة الثلاثي المزيد بالهمزة، ليفيد اشتراك الصورتين في أداء لون جديد من ألوان الدلالة نفسها: "حَلَّاهُ يَحْلُوهُ حَلًّا وَأَحْلَاهُ: كَحَلِّهِ بِالْحُلُوءِ"²⁷.

يلاحظ أن ابن منظور لم يضبط ههنا الفعل (حلاً) بصورة من صور الضبط المعروفة أو بتحديدده بمثال مشهور، أو بالنصّ على نوع الضبط، أو بالإشارة إلى الضبط بالحركات.

وفي الفقرة السابقة تتبع ابن منظور مشتقات الجذر، وتصريفاته، ومما اختاره من مصادره: الفعل الثلاثي المجرد: حلاً، والمزيد بالهمزة: أحلاً، والأسماء والصفات:

- الحلو: "الذي يُحْكُّ بين حجرين لِيُكْتَحَلَ به"²⁸.
- والحالئة: "ضرب من الحيات تحلّأ لمن تلسعه السمّ، كما يحلّأ الكحلّ الأرمَد حُكَاكَةً فيكحله بها"²⁹.

وقد استعان ابن منظور بشواهد من الشعر ومن الأحاديث على ورود الفعل حلاً (بالتشديد) لدلالة جديدة هي طرد الإبل والماشية عن الماء أو حبسها

26 - المصدر نفسه حمأ 312/3.

27 - المصدر نفسه حلاً 273/3.

28 - اللسان حلاً 273/3.

29 - المصدر السابق 274/3.

عنه، وذكر حديث سلمه بن الأكوع قال : "فأتيت رسول الله (ص)، وهو على الماء الذي حَلَيْتُهُمْ عنه بذي قَرْدٍ"³⁰.

واستغلَّ ابن منظور الحديث الشريف لتناول شرح قاعدة صرفية قائلاً : "هكذا جاء في الرواية غير مهموز (حليتهم)، فقلبت الهمزة ياءً وليس بالقياس، لأن الياء لا تبدل من الهمزة إلا أن يكون ما قبلها مكسوراً، نحو : بير، وإيلاف، وقد شدَّ قُرَيْتٍ في قرأت وليس بالكثير، والأصل الهمز"³¹.

وفي موضع آخر قال : "حكى أبو جعفر الرُّؤاسي : "ما حَلَيْتُ منه بطائل، فهمز؛ ويقال : حلأت السَّوَيْقَ، قال الفراء : همزوا ما ليس بمهموز لأنه من الحلواء"³².

واستشهد لبعض معاني "حلاً" بالمثل العربي (حلأتُ حائلةً عن كوعها)، وذكر أنه يضرب في حذر الإنسان على نفسه ومُدافعتة عنها، وقال : ((إن حلاًها (أي المرأة) عن كوعها))³³ إنما هو حذر الشَّفْرة عليه لا عن الجلد، لأن المرأة الصنّاع ربما استعجلت فقشّرت كوعها".

وأطال ابن منظور يشرح المثل وينقل آراء العلماء فيه، وتحليلهم له، واستشهادهم لهذا التحليل، وهذا عظيم الفائدة لمن يتعمّق، ومن أجل ذلك كان لسان العرب معيناً لدارس اللغة، مغنياً في كثير من الأحيان عن اللجوء إلى مصادر أخرى في هذا المجال.

30 - المصدر نفسه - 274/3.

31 - المصدر نفسه.

32 - المصدر نفسه 275/3، ينظر، المعاجم العربية، دراسة تحليلية، عبد السميع محمد أحمد 114/1-115.

33 - المصدر نفسه 274/3، الأمثال العربية في معجم لسان العرب، مخطوط أ. بن عجمية أحمد ص 113.

"يضرب المثل لمن يتعاطى ما لا يحسنه ولمن يرفق بنفسه شفقة عليها" ينظر مجمع الأمثال للميداني 201/1.

وقد بين أحياناً دلالة الفعل المجرد والمزيد، كما مثل له في الجذر (حما) نحو: أحماها أنا إحماء³⁴: إذا نقيتها من حماها، وحماها إذا ألقيت فيها الحمأة: قال الأزهري: ذكر هذا الأصمعي في كتاب الأجناس³⁴.

وهكذا فإن الفعل (حما) المجرد دل على إثبات قاعدة شيء، وأن (أحما) المزيد بالهمزة ورد لإفادة سلب ذلك الشيء، ومثله كذلك في اللسان: خفى، وأخفى³⁵ وشكا وأشكى³⁶.

مختارات من الشواهد النحوية والصرفية:

أ- الشواهد القرآنية: استدلل ابن منظور على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه من خلال قوله تعالى (وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ)³⁷، أي حب العجل³⁸، فحذف المضاف (حب)، وأبقى على المضاف إليه (العجل)، وأخذ الحركة الإعرابية له، ولا يجوز أن يكون العجل هو المُشْرَب، لأن العجل لا يشربه القلب³⁹.

وورد كذلك في قوله تعالى ﴿شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ﴾⁴⁰، أي الشهادة بينكم شهادة اثنين، فحذف المضاف (الشهادة) وأبقى على المضاف إليه (اثنان)⁴¹، واحتفظ بالحركة الإعرابية وهي الرفع، وعلامته ههنا في (اثنان)⁴² هو الألف، لأنه ملحق بالمتنى.

34 - اللسان - حمأ - 313/3.

35 - المصدر نفسه - خفا 160/4.

36 - المصدر نفسه - شكا 180/7.

37 - سورة البقرة الآية 93.

38 - كشف المشكلات وإيضاح المعضلات للأصبهاني الباقولي 76/1.

39 - اللسان - شرب - 67/07.

40 - سورة المائدة الآية 106.

41 - اللسان - شهد 223/7.

42 - ما بين قوسين من وضعنا.

كما تناول ابن منظور اختلاف النحاة في ترجيح الأوجه الإعرابية في قوله تعالى : (واشتعل الرأس شيباً)⁴³، فذكر أن نصب (شيباً) على التفسير، وإن شئت جعلته مصدرًا، وكذلك قال حُذَّاق النحويين⁴⁴. والتميز في مثله محوّل عن الفاعل، والأصل : واشتعل شيب الرأس⁴⁵.

وتوسع في الاستشهاد بالآيات القرآنية في مسائل كثيرة، وبخاصة تلك المتعلقة بمعاني الحروف، من مثل الشواهد التي ذكرها في معاني (في)، فبيّن أن (في) تأتي بمعنى وسط، وتأتي بمعنى داخل كقولك : عبد الله في الدار، أي داخل الدار⁴⁶، وتأتي مرادفة للباء كقوله تعالى ﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾⁴⁷، أي يُكَثِّرُكُمْ به، نقله الفراء وأنشد.

وأرغب فيها عن عبيد ورهطه ... وَلَكِنْ بِهَا عَنْ سِنْبِسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ⁴⁸ أي أرغب بها.

ويتّضح أنه لم يكشف بالاستشهاد بالقرآن الكريم، بل لجأ إلى الشعر في المسألة الواحدة من ذلك ما أنشده ابن السكيت للجعدي :

وَلَوْحُ ذِرَاعَيْنِ فِي بَرْكَةٍ إِلَى جَوْجُورِهِلِ الْمَنْكَبِ⁴⁹. أي : مع بركة وقال أبو النجم :

يدفَعُ عنها الجوع، كلّ مدفع خمسون بسطاً في خلايا أربع⁵⁰ أي : مع خلايا.

43 - سورة مريم الآية 04.

44 - اللسان - شعل - 141/7.

45 - شرح الأشموني على الألفية، محي الدين عبد الحميد، 632/2، ينظر شرح ابن عقيل 664/1.

46 - اللسان في 372/10.

47 - سورة الشورى الآية 11.

48 - اللسان - في - 372/10.

49 - المصدر نفسه 372/10.

50 - اللسان - في - 372/10، ينظر التاج - في 265/39.

وقد استشهد ابن منظور كثيراً بالقراءات القرآنية ووظفها لبيان المعاني، أو الاشتقاق أو لبيان وجه إعرابي، من ذلك في قوله تعالى : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنَ قَوْمٍ﴾⁵¹، فيبين أنه قريء بفتح النون وسكونها⁵²، فمن سَكَنَ فقد يكون مصدرًا كَلَيَّانَ ويكون صفة كسكران : أي مُبَغِضٌ قوم⁵³.

قال الجوهري: وهو شاذٌّ في اللفظ لأنَّه لم يجيء من المصادر عليه . ومن حرَّك فإِنَّها هو شاذٌّ في المعنى، لأنَّ فَعْلَانِ إِنَّها هو من بناء ما كان معناه الحركة والإضطراب كالضربان والخفقان .

وقرأ عاصم : شَنَانٌ، بإسكان النون، وهذا يكون اسماً، وقد أنكر هذا رجل من البصرة (أبو حامد السجستاني)، فردَّ عليه أحمد بن يحيى، بقول ذي الرُّمَّة .

فَأُقْسِمُ لَا أُدْرِي أَجَوْلَانُ عَبْرَةً تَجُودُ بِهَا الْعَيْنَانِ، أُحَرِّى أُمَ الصَّبْرِ⁵⁴.

وفي قوله تعالى : (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ)⁵⁵. ذكر اتفاق القراء أجمعون على فتح السين في (عَسَيْتُمْ) إلا ما جاء عن نافع أنه كان يقرأ (فَهَلْ عَسَيْتُمْ) بكسر السين⁵⁶.

وفي مسائل الصياغة اللغوية المختلف فيها (دام يدوم دمت ودمت) أشار إلى تفصيلها على النحو الآتي :

قال كراع : دام يدوم فَعِلَ يَفْعُلُ، وليس بقوي، دوماً ودواماً وديمومةً.

51 - سورة المائدة، الآيتان 2، 8.

52 - تفسير الإمامين الجليلين : المحلي والسيوطي : ص 88.

53 - لسان العرب : شناً - 207/7، التاج : شناً 285/1.

54 - المصدر نفسه، شناً 207/7.

55 - سورة محمد الآية 22.

56 - اللسان - عسى - 214/9.

قال أبو الحسن : في هذه الكلمة نظر، ذهب أهل اللغة في قولهم دِمْتُ تَدُومُ إلى أنها نادرة كِمَتْ تَمُوتُ، وَفَضِلَ يَفُضِّلُ، وَحَضِرَ يَحْضُرُ.

وذهب أبوبكر إلى أنها متركبة فقال : دُمْتُ تدومُ كُفَلْتُ تقولُ، ودِمْتُ تَدَامُ، كَخِفْتُ تَخَافُ، ثم تركبت اللغتان فظنَّ قومٌ أن تدومُ على دِمْتُ، وتَدَامُ على دُمْتُ، ذهاباً إلى الشذوذ وإيثاراً له.

قال الفراء وغيره من أهل العربية : فعل يفعل لا يجيء في الكلام إلا في هذين الحرفين : مت تموت في المعتل ودمت تدوم، وفي السالم فضل يفضل، أخذ (مت) من لغة من قال يفضل وأخذوا يموت من لغة من قال يفضل، ولا ينكر أن يؤخذ بعض اللغات من بعض⁵⁷.

(والوجه ما تقدّم مما ذهبوا إليه من تشديد دِمْتُ تَدُومُ أخف مما ذهبوا إليه من تَسَوُّغِ دُمْتُ تَدَامُ، إذ الأولى ذات نظائر، ولم يعرف من هذه الأخيرة إلا كُذَّت تكاد، وتركيب اللغتين باب واسع كَقَنَطَ يَقْنُطَ وَرَكَنَ يَرْكُنُ فيحمله جهلاً أهل اللغة على الشذوذ)⁵⁸.

كما أشار في مسألة صوتية في قوله تعالى ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾⁵⁹، فيبين أن من قرأ تَسَاءَلُونَ (بتشديد السين) فالأصل تتساءلون، قلبت التاء سيناً لقرب هذه من هذه⁶⁰، أي قرب (التاء وهي حرف نطعي) من السين (وهي حرف أسلي)⁶¹، ثم أدغمت فيها. أي إدغام التاء في السين، وليس العكس، لأن السين من حروف الصغير.

57 - المزهر السيوطي 208/1.

58 - اللسان دوم 446-445/4.

59 - سورة النساء - الآية 1.

60 - ما بين قوسين من وضعنا.

61 - كشف المشكلات وإيضاح العضلات، الباقولي، تح. د. محمد أحمد الدالي 285/1.

أما من قرأ (تساءلون) بالتخفيف فأصله تتساءلون، حذفت التاء الثانية كراهية الإعادة، فوضّح أنها تردان على صورتين : صورة الإدغام وصورة الحذف، فقراءة بالتشديد والثانية بالتخفيف .

وفي الآية السالف ذكرها شاهد نحويّ، وهو (والأرحام) بالنصب على تقدير : اتقوا الأرحام أن تقطعوها⁶²، وهي القراءة الجيدة، فأما الجر فخطأ في العربية، لا يجوز إلّا في اضطرار الشعر، لأنه يقبح أن ينسق ظاهر على مضمّر في حال الجرّ إلّا مع إظهار الخافض .

ب- الأحاديث النبويّة⁶³ : استشهد ابن منظور بـ طائفة من الأحاديث النبويّة واستند إليها فيما تناوله من مسائل متنوّعة، من ذلك، الحديث الذي استثمره لبيان دلالة الفعل (حَلَّ) في قوله (فلا يَحِلُّ لكافرٍ يجدُ ريحَ نفسه إلّا مات) أي : هو حقٌّ واجب⁶⁴.

وأما قوله : (حَلَّتْ له شفاعتي)، قيل هي بمعنى غَشِيَتْه ونَزَلَتْ به⁶⁵.

وهكذا فقد فرق بين دلالة الفعلين : حل يحل (بكسر الحاء).

وحل يُحَلُّ (بضم الحاء) وذلك من خلال الحركتين لدلالة الأول على (وجب) والثاني على (نزل).

ولبيان إحدى الصيغ الصرفية في المشتقات، نسوق هذا الحديث (مَنْ لم يتعزَّ بعزاء الله فليس منّا)⁶⁶ أي من لم يدع بدعوى الإسلام، ومعنى قول بعزاء الإسلام أي بتعزية الله إياه فأقام الاسم (العزاء) مقام المصدر الحقيقي وهو التعزية.

62 - ينظر معاني القرآن للفراء . تح . إبراهيم شمس الدين 177/1، وتهذيب معاني القرآن وإعرابه الزجاج 5/2.

63 - أحصينا الأحاديث النبويّة المستشهد بها في اللسان بـ 6488 حديثاً.

64 - اللسان - حل 301/3.

65 - اللسان . حل 301/3.

66 - اللسان عز 169/9.

وقد تمكّن ابن منظور من توظيف الشواهد المناسبة مستعينا بالمصادر السابقة له كالصّحاح والتّهذيب ودواوين العرب وكتب اللغة والأدب والنحو.

ج- الشواهد الشعرية : استشهد ابن منظور بمجموعة من الشواهد الشعرية في المسائل النحوية والصرفية والصوتية كالإدغام وتسهيل الهمزة وتحقيقها والإمالة والإشمام والروم وغيرها.

ففي المسائل النحوية نتوقف عند معاني حروف الجرّ، ونبيّن كيف استخدم الشواهد لبيان معانيها، ومعلوم أنّ (على) حرف بمعاني كثيرة، ويجيء في الكلام وهو اسم ولا يكون إلا ظرفاً⁶⁷، قال مزاحم العقيلي (ت 120 هـ).

غدت من عليه بعدما تمّ ظمؤها تصلّ وعنّ قيضٍ بيزاء مجّهل⁶⁸

وهو بمعنى عند.

وقال المبرد : (على) لفظة مشتركة للاسم والفعل والحرف، لا أنّ الاسم هو الحرف أو الفعل، ولكن يتفق الاسم والحرف في اللفظ⁶⁹.

ويروى : على الخليل، قال سيويو : ألف علا زيدا ثوب منقلبة من واو، إلا أنّها تقلب مع المضمر ياء تقول عليك، وبعض العرب يتركها على حالها.

قال الراجز : طاروا علاهنّ فطرّ علاها⁷⁰.

ويقال : هي بلغة بلحارث بن كعب.

ومن شواهد : إذا رضيت عليّ بنوقشير ... لعمرؤ الله أعجيني رضاها⁷¹.

67 - المصدر نفسه علا 380/9.

68 - المصدر نفسه علا 380/9، نسب البيت في الأزهية إلى مزاحم العقيلي، وهو في الكتاب 358/4، وادب الكاتب ص 392.

69 - المصدر نفسه علا 381/9.

70 - اللسان علا 381/9، وطير 238/8، والخصائص 177/2.

71 - اللسان - با - 299/1 - البيت غير منسوب في اللسان

أي : رضيت بي.

وفي موضع آخر من اللسان استعمل (على) بمعنى عن⁷². وهو من شواهد النحو المشهورة في هذا المقام .

قال ابن جنّي، وكان أبو علي الفارسي يستحسن قول الكسائي في هذا، لأنه لما كان رضيت ضد سخطت عدى رضيت بعلى حملاً للشيء على نقيضه، كما يحمل على نظيره⁷³.

كما استشهد بيتين من الشعر أحدهما استدّل به لصرف (سبأ).

قال الشاعر : أَضَحَّتْ يُنْقِرُهَا الْوِلْدَانُ مِنْ سَبَا : كأنهم، تَحَتَّ دَفْيُهَا دَحَارِجُ⁷⁴
 قيل : سبأ اسم بلدة كانت تسكنها بلقيس.

و الثاني استدّل به لمنعه من الصرف، نحو :

مِنْ سَبَا الْحَاضِرِينَ مَأْرَبَ، إِذْ يَنْبُونُ مِنْ دُونِ سَيْلِهَا الْعَرَمَا⁷⁵.

هو اسم مدينة.

ويضاف إلى ذلك، شواهد تتعلق بالمسائل الصرفية من أوزان وصيغ صرفية واشتقاق، من ذلك جمع (شيء) على (أشأوه)، وحكى أن شيخاً أنشده في مجلسٍ عن بعض الأعراب.

وذلك ما أوصيك، يا أمَّ مَعْمَرٍ، وَبَعْضُ الْوَصَايَا فِي أَشَاوَةٍ تَنْفَعُ⁷⁶.

وزعم الشيخ أن الأعرابي قال : أريد أشايا.

72 - البيت منسوب للحقيف العقيلي، اللسان - رضي - 236/5 - وأدب الكاتب ص 295، والخصائص ابن جني 207/2، ورصف المباني للمالقي ص 372 .

73 - الخصائص 207/2، ولسان العرب رضي 236/5.

74 - اللسان - سبأ - 136/6 والكتاب 279/3 منسوب إلى النابغة الجعدي.

75 - الكتاب 279/3 منسوب إلى النابغة الجعدي واللسان - سبأ - 136/6.

76 - اللسان - شياً - 249/7.

وعَدَّ ابن منظور هذا أشدَّ الجمع، ويَبَيِّن أن لا (هَاء) في أشياء، فتكون في أشاوه ؛ ومن الشواهد الشهيرة قول الفرزدق الذي ورد فيه (دراهم) جمعاً لدرهم، فقد ورد في اللسان، قال ابن سيده : "وجاء في تكسيره الدراهم ؛ وزعم سيويوه أن الدراهم إنما جاء في قول الفرزدق :

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة، نفى الدراهم تنقاد الصياريف⁷⁷.

ومما أورد ابن منظور أن (مشوم على قومه) والجمع مشائم نادر، وحكمه السلامة، أنشد سيويوه للأخوص اليربوعي :

مشائم ليسوا مصلحينَ عَشيرةً ولا ناعبٍ إلا بشُومٍ غرابها⁷⁸.

وتناول أصالة الميم في "الشجعم" قال، قال : ابن سيده : "ولم يقض على هذه الميم بالزيادة إذا لم يوجب ذلك ثبُتٌ، ولا تزداد الميم إلا بثبُتٍ لقلّة مجيئها زائدة في مثله، هذا مذهب سيويوه، وذهب غيره إلى أنه "فَعَلَمَ" من الشجاعة"⁷⁹.

وهذا ما أشار إليه ابن جنّي في قولهم : الأفعوان والشجاع الشَّجَعَمَا⁸⁰.

ومنه إشارته كذلك إلى أن مجيء (الفتوة) انقلبت الياء فيه واواً على حدّ انقلابها في موقن وكقضو، قال السيرافي : إنما قلبت الياء فيه واواً لأنّ أكثر هذا الضرب من المصادر على فعولة، إنما هو من الواو كالأخوة، فحملوا ما كان من الياء عليه فلزمت القلب، وأما الفتو شاذّ من وجهين : أحدهما أنه من الياء،

77 - اللسان - درهم 341/4 - ينظر الكتاب 57/1 .

78 - اللسان - شأم 7/7، البين منسوب في الكتاب إلى الأخوص الرياحي 220/1، 365، 28/3

79 - اللسان - شجعم 39/7

80 - صدر البيت : قد سأل الحياتُ منه القدما ؛ ينظر . سر صناعة الإعراب ابن جنّي 431/1، نسب البيت في الكتاب إلى العجاج 344/1 وفي اللسان إلى الأحمر - شجع 38/7.

والآخر أنه جمع، وهذا الضرب من الجمع تقلب فيه الواو كعصي ولكنه حمل على مصدره⁸¹ وأورد قول الشاعر :

وَفُتُوْهُ هَجَرًا ثُمَّ أَسْرَوْا لَيْلَهُمْ حَتَّى إِذَا أَنْجَابَ حَلَّوْا⁸².

د - النصوص الثرية : اعتمد ابن منظور في معجمه لسان العرب على الكثير من النصوص الثرية بعضها منسوب إلى أصحابها، وبعضها غير منسوب، وبعضها أمثال شهيرة على ألسنة العرب، وهو ما عد مصدراً من المصادر اللغوية الرئيسة التي اعتمد عليها⁸³.

وفيما يلي نماذج من هذه النصوص، من ذكر وصف على كرم الله وجهه لأبي بكر رضي الله عنه حين مات "كنت على الكافرين عذاباً صَبّاً"، هو مصدر بمعنى الفاعل أو المفعول⁸⁴.

ومن كلامهم : تَصَبَّبْتُ عِرْقاً، أي تَصَبَّبَ عِرْقِي، فنقل الفعل فصار في اللفظي، فخرج الفاعل في الأصل مميزاً.

ومن الأمثال العربية أورد في باب الحاء (جَدَّأ، جَدَّأ، ورائك بندقه)⁸⁵ أورد الميداني في مجمع الأمثال، وقيل هي ترخيم (حدأة)، قال الأزهري : وهو القول والعامّة تقول : (حدا حدا) بالفتح غير مهموز⁸⁶.

يضرب المثل لمن يتباصر بالشيء فيقع عليه من هو أبصر منه.

81 - اللسان - فتيا - 182/10.

82 - المصدر نفسه.

83 - تمثل في اللسان معجماً قائماً بذاته، حيث بلغ عددها (1520) في أبوابه الـ (28).

84 - اللسان - صبب 268/7.

85 - اللسان - جدأ - 72/3 ينظر مجمع الأمثال الميداني، ص 210.

86 - المصدر نفسه 73/3.

ومنه كذلك المثل الذي استخدم فيه (عسى) بمعنى (كان)، يقول ابن منظور : عسى الغَوَيْرُ أَبُوساً، أي كان الغَوَيْرُ أَبُوساً، حكاه سيبويه، قال الجوهري: أما قولهم : عسى الغَوَيْرُ أَبُوساً، فشاذ نادر، وضع "أبُوساً" موضع الخبر⁸⁷.

ومن الصيغ ما ورد من أسلوب التعجب على وزن (أفعل) قولهم : "ما أعطاه للمال، كما قالوا ما أولاه للمعروف وما أكرمه لي".

وهذا شاذ لا يطرّد. لأن التعجّب على أفعل، وإنما يجوز من ذلك ما سمع من العرب ولا يقاس عليه⁸⁸.

وأرى الشذوذ في (أفعل التعجب) عندما يكون الفعل زائداً على ثلاثة أحرف، وهو (أعطى)، وأجاز سيبويه التعجب من الفعل الرباعي بالهمزة⁸⁹ (قياساً) نحو : أكرم وأعطى وأعلم وأخرج، وأولى لكثرة حرية في كلامهم مجرى الثلاثي، وهو (ما أعطاه للدراهم وأولاده (للمعروف)⁹⁰.

فأوردَهُنَّ بَطْنَ الْأَتَمِ، شُعْثًا، ... يَصْنُ الْمَشْيَ، كَالْحَدِّ التَّوَامِ⁹¹.

والعامة تقول : حَدًا حَدًا، بالفتح غير المهموز .

وفي المسائل الصرفية أورد ابن منظور - جذر : ضرح، المثال : "اضْطَرَّحُوا فلاناً : رَمَوْهُ فِي نَاحِيَةٍ.

87 - اللسان عيسى 214/9، ينظر الكتاب سيبويه 92/1، 211، 180/3.

88 - المصدر نفسه - عطا 274/9.

89 - الكتاب 73/1.

90 - شرح جمل الزجاجي لابن خروف الإشبيلي تح د/ سلوى محمد عمر عرب 574/2.

91 - اللسان - حدأ 73/3.

والعامة تقول : أَطْرَحُوهُ، يَطْرَحُونَهُ مِنَ الطَّرْحِ، وإنما هو من الصَّرْح. نقل ذلك عن الأزهري قال : وجائز أن يكون اطرَحُوهُ افتعالاً من الطَّرْح؛ "قلبت التاء طاءً تم أدغمت الضاد فيها فقليل اطرَحَ⁹².

أبدأ من حيث انتهى الأزهري، وأقول أين حرف الضاد في أصل الكلمة حتى يدغم فيها ؟ .

وليبيان ذلك نقول : الصيغة من الفعل (طرح) إذا وردت على وزن افتعل، فصارت (اطرَح) وأبدلت (التاء) طاءً، لأن مخرجيهما واحد، غير التاء مهموس والطاء مجهور، وحصل بهذا الإبدال التجانس الصوتي بين الصوتين، ثم أدغمت الطاء الأصلية في الطاء المبدلة، فصارت الكلمة اطرَح (تشديد الطاء).

وعلى الإبدال الأوّل لم يكن بالفعل ضاء معجمة حتى تدغم فيها.

بيّن المازني أن بعض العرب يكره الجمع بين حرفين مطبقين⁹³.

ومما ورد من هذه الصيغ كذلك في جذر - طرد - وذلك عند حديث مجاهد "اضطراد الخيل.

قال : "الاضطراد : هو الطرادُ (بتشديد الطاء)، وهو افتعالٌ من طرادِ الخيل، فقلبت (تاء) الافتعال (طاء) ثم قلبت الطاء الأصلية (ضاداً) كذا⁹⁴. فإذا كان قلب (التاء) (طاء) مسوغاً، وذلك للتجانس الصوتي، فأتساءل لأية علة قلبت الطاء الأصلية ضاداً ؟ .

وعليه أقول : إن القلب الثاني غير مبرر صوتياً، فكلاهما حرف مطبق، والطاء تفوق الضاد في صفة الشدة.

إن ابن منظور في مثل هذه المسائل الصرفية وما شابهها لم يعلّق عليها ولم يحقق فيها التحقيق العلمي.

92 - اللسان - ضرح - 43/8.

93 - اللسان ضجع - 22/8، ينظر المباحث الصوتية في لسان العرب (مخطوط) بن عجمية ص 75.

94 - المصدر نفسه 140/8.

الخلاصة :

ونحن نتبّع هذا المعجم الضخم، لاحظنا أنّ مؤلّفه قد اعتمد في تجلية المعاني على الاستخدامات المتعدّدة للكلمات، واستعان كذلك بتصرّيفات الكلمة واشتقاقها ومواقعها الإعرابيّة على مجموعة كبيرة من الشواهد الصوتيّة والصرفيّة والنحويّة، وقد وردت هذه الشواهد متنوّعة باختلاف مواقعها والغرض منها، فهناك الشواهد القرآنيّة بمختلف القراءات والأحاديث النبويّة والشواهد الشعريّة والنثرية من أمثال ومن كلام العرب المنسوبة إلى أصحابها وغير المنسوبة.

وابن منظور في مسلكه هذا، سار على درب أسلافه من المعجميّين، فقد استشهد بالآيات القرآنيّة وأحياناً بالأحاديث وأحياناً أخرى بالشواهد الشعريّة أو النثرية.

ويّتّضح من خلال هذا التصفّح للشواهد في هذا المعجم، أنّ ابن منظور يعرض المسألة ويناقشها بطريقة الناقل، لا المناقش المحلل، ولعلّ ذلك الأمر يبيّن على هذا الجانب سهواً في مسائل صوتيّة من لم يتأكّد من صحتها.

وعلى أية حال، فإنّ لسان العرب، يعدّ مرجعاً من مراجع اللغة، ومصدراً من مصادرها، لا غنى عنه.